



أمّها يا عليّ

(012) سورة يوسف

خطبة جمعة

2026-04-17

سورية - دمشق

مسجد عبد الغني النابلسي

يا ربنا لك الحمد، ملء السماوات والأرض، وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا مُعطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، وأشهد أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، عنى كل فقير، وعنّى كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومقرّع كل ملهوف، فكيف نفتقر في غناك، وكيف نضل في هدايتك، وكيف نضام في سلطانك، وكيف نخشى غيرك، والأمر كله إليك، وأشهد أنّ سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسلته رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً، ليخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن حول الشهوات إلى جنّات القربات، فجزاه الله عنّا خير ما جرى نبياً عن أمته.

اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه، وعلى ذريته ومن تبعه ومن والاه إلى يوم الدين.

صلح الحديبية بين رسول الله وقريش:

وبعد أيّها الإخوة الأكارم: قبل أكثر من ألفي وأربعمئة عام، وفي السنة السادسة للهجرة تحديداً، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ألفي وأربعمئة من أصحابه إلى مكة، يريدون العمرة فأرادت قريش منعه من العمرة، ولما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية قريباً من مكة، أرسل سيدنا عثمان ليخبر قريشاً أنه لم يأت لقتالهم، وإنما جاء مُعتمراً مع صحبه، وقال له: وادعهم إلى الإسلام، فاحتبست قريش عثمان بن عفان عندها، وأشيع مقتله، وباع الصحابة رضوان الله عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيعة الرضوان تحت الشجرة، ثم أرسلت قريش عروة بن مسعود ليتفاوض مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدها أرسلت سهيل بن عمرو لعقد الصلح، وتمّ الاتفاق على كتابة الصلح الذي عُرف فيما بعد بصلح الحديبية، وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يُملئ شروط الصلح، وجعل علي بن أبي طالب يكتب الشروط.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي: اكتب هذا ما قاضي عليه محمد رسول الله، فقالت قريش: فف، لا تُقر لك بهذا، لو نعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئاً، ولكن أنت محمد بن عبد الله، فقال صلى الله عليه وسلم: أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله، ثم قال لعلي: "أمّها يا علي"، أمخ كلمة رسول الله، فقال علي رضي الله عنه: لا والله لا أمحوك أبداً - لا أستطيع - ما قالها عصياناً لأمر رسول الله حاشاه، لكنه قالها بدافع الأدب والحب، قال: لا أمحوك أبداً يا رسول الله، فأخذ رسول الله الكتاب، فأشاروا إليه فمحا رسول الله، وكتبوا هذا ما قاضي عليه محمد بن عبد الله، ثم أبرم الصلح وأمضاه، الذي كان في ظاهره قاسياً على المسلمين، لكنه كان في حقيقته فتحاً مُبيناً.

"أمّها يا علي" منهاج وطريقة في العمل الإسلامي:

أيّها الإخوة الكرام: "أمّها يا علي"، ليست مُجرّد كلمة قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنها منهاج وطريقة في العمل الإسلامي، وطريقة في التفاوض مع الإعداء، وطريقة في العمل مع الأصدقاء، يمكن أن نقول إن صحّ التعبير: "أمّها يا علي" استراتيجية وليست مُجرّد كلمة تتعلم منها الكثير من الدروس والعبر التي نحتاجها كثيراً في واقعنا اليوم.

"أمّها يا علي" نُعلّمنا ألا نقف عند الشكل وأن يكون اهتمامنا مُنصبّاً دائماً على المضمون:

أولاً: "أمّها يا علي" نُعلّمنا ألا نقف كثيراً عند الشكل، وأن يكون اهتمامنا مُنصبّاً دائماً على المضمون، الصلح قضية استراتيجيّة، ولها أهداف بعيدة ينظر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، غابت عن بعض الأصحاب الكرام، ولا يصح تعطيل الصلح كله، من أجل الوقوف على قضية شكلية لا تتعلق بمضمون الصلح، "أمّها يا علي" اكتب محمد بن عبد الله، فهو شخص واحد، محمد رسول الله أو محمد بن عبد الله، "أمّها يا علي".

في واقعنا اليوم أقول: ليس في الدين شكليات، ليس في ديننا شكليات، ديننا كله مضمون، بكل ما فيه، ولكن لا بُدَّ من فقه الأولويات، لباس المرأة مثلاً ليس شكلاً كما يقول البعض، لا، لباس المرأة جزءٌ من دينها، ولباس الرجل جزءٌ من دينه، كلٌّ وفق ضوابطه الشرعية، ولكن هناك فقه للأولويات، قد تتجاوز عن مسألة ونقول: أجلها يا علي، آخرها، تتجاوز عنها قليلاً من أجل أمرٍ أهم.

أيها الإخوة الكرام: قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَخَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (19)

(سورة التوبة)

لا تجعل شيئاً في موقع شيءٍ آخر:

سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام أمرٌ مهمٌ ومطلوب، لكنه لا يوازن بالجهاد في سبيل الله، كلُّ له موقعه، فلا تجعل شيئاً في موقع شيءٍ آخر، ولا تجعل فرعاً في موقع أصل، ولا تجعل مضموناً في موقع عنوان، ولا تجعل جزئيةً في موقع كليةً، كل ديننا مضمون وكله نحتاج إليه، لكن نرتبه وفق الأولويات، وتتجاوز أحياناً عن شيءٍ ونؤخر شيئاً في سبيل هدفٍ أعظم، "أمحها يا علي".

عندما يأتيك شابٌ لا يُصلي، لم يدخل المسجد إلا ويراراً، ويأتي الكباير والعياذ بالله، فالأولوية الآن لهديته إلى الله، وتعريفه بالفرائض، وحمله بالحكمة على الصلاة وعلى ترك الكباير، ولا يصح التحدث معه في قضيةٍ جزئيةٍ أو قضيةٍ فرعيةٍ قبل تعريفه بالأصول، وهذا موجّهٌ للخطاب الإسلامي في المساجد، والخطاب الأكثر مُتابعَةً عند الشباب على وسائل التواصل، لا يصح اليوم أن ندخل في أشياء، نحن اليوم أقول: مُعظم شبابنا في المرحلة المكبّية، نحن نحتاج بناءً اليوم وكأننا في مكة، نحتاج إلى تعريف الشباب برّبهم، إلى توحيد الله تعالى، إلى العقيدة الصافية البسيطة البسيطة، المُستمدة من كتاب الله تعالى، التي تحملهم على الإيمان، ثم تحملهم على الطاعة، نحن لا نعيش قبل ألف سنة، لندخل الناس في قضايا أكل الزمان عليها وبشر، ليس هناك اليوم أحدٌ يتعلم علم الكلام، فلماذا نخوض في علم الكلام اليوم في عقيدتنا؟ هذا كان له زمانه، وكان له رجاله، واطر إلى المسلمون في عصرٍ ما، عندما برزَّ علم الكلام فجعلت العقيدة تُبارز هذا العلم، لحماية الدين يعلم الكلام نفسه.

لكن اليوم ما أحد من شبابنا يقرأ علم الكلام، اليوم يقرؤون عن الإلحاد وعن النسوية لغيتاننا، وعن المُشكلات المُعاصرة التي تعصف بالأمة، والتهديد الوجودي الذي يكيد لنا، نحتاج اليوم إلى "أمحها يا علي" أجلها يا علي، تتجاوز عنها، آخرها قليلاً ليس هذا الوقت وقتها.

الآن ليس من الدين في شيء أن تُثار القضايا الخلافية:

أيها الإخوة الكرام: عندما تكون الأمة في خطر، ويكون عدوّها يتربصُ بها الدوائر، فليس من الدين في شيء أن تُثار القضايا الخلافية، التي حصلت قبل أكثر من ألف عام، في التاريخ أو في العقيدة، أو في السياسة، والتي لا يدرى الناس أصلاً لماذا تتحدث عنها، بل لم يسمعوها بها ربما أصلاً.

أيها الإخوة الكرام: سألتني أحدهم قال لي: سمعت شيئاً يقول: إنّ أغلب السورين على العقيدة الأشعرية، وقال لي آخر: بل سمعت شيخنا يقول: إنّ أغلب السورين على العقيدة الأثرية، فأيهما صحيح؟ قلت له: لا والله لا هذا صحيح ولا ذلك صحيح، لأنَّ أغلب المسلمين في سورية لا يعرفون عقاً تتكلم، أغلب المسلمين في سورية على العقيدة الفطرية، بل أغلب المسلمين في العالم الإسلامي كله على العقيدة الفطرية، التي تحتاج إلى تبيين قليل إلى وجود الله ووحدانيته وكماله، حتى تستيقظ للعمل دون الدخول في هذه الخزنيات.

الناس يحتاجون اليوم أن ندلّهم على الله بعيداً عن الكلاميات:

أيها الإخوة الكرام: الناس يحتاجون منّا اليوم أن ندلّهم على الله، أن نُعرّفهم بأسمائه الخُسن وبصفاته الغُلا، بعيداً عن الكلاميات، حتى نُعيّتهم على التزام أمر ربهم وترك تهبه. على أي عقيدة كان بلال الحبشي، وعمار بن ياسر، وشمّة؟ على أي عقيدة كانوا وهم يُسامون في صحراء مكة سوء العذاب؟ فما يصددهم ذلك عن دينهم، شمّة يتبصق في وجه أبي جهل، بلال يقول أحدٌ أحد، هذه هي العقيدة، هذه هي العقيدة الحقّة.

أيها الإخوة الكرام:

{ لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعَاذًا تَحْوِي تَيْمَنًا قَالَ لَهُ: إِنَّكَ تَعْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا

تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَدِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ حَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا صَلَّوْا فَأَخْبِرْهُمْ

أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ، تُؤْخَذُ مِنْ عَنِّيهِمْ فِئْرَةً عَلَى فُقِيرِهِمْ، فَإِذَا أَقْرَأُوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ {

(أخرجه مسلم)

انظروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي هو وأمي كيف بُرِّبَ الأولويات، قال: (فَلْيَكُنْ أَوَّلَ) هناك أولٌ وهناك ثانٍ (فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَدِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ) عرفوا الأمر، عرفوا الخالق، عرفتهم بالأمر قبل أن تُعرّفهم بالأمر، عرفتهم بالخالق قبل أن تلتفتهم إلى المخلوق، أصل الدين معرفة الله (فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ حَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ) هذه ثانياً، أفا إذا قلت لهم صلوا، سيفولون: نُصلي لمن؟ لماذا نُصلي؟ (فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ حَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ) قال: (فَإِذَا صَلَّوْا) انتهينا من مرحلة (فَإِذَا صَلَّوْا فَأَخْبِرْهُمْ) لأنَّ المال صعبٌ على النفوس، قال: (فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ، تُؤْخَذُ مِنْ عَنِّيهِمْ فِئْرَةً عَلَى فُقِيرِهِمْ) منك إلى الفقير الذي معك، ثم قال له: (فَإِذَا أَقْرَأُوا بِذَلِكَ) أي للزكاة (فَخُذْ مِنْهُمْ، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ) لا تذهب إلى أموالهم النفيسة، فتأخذ منها فيعرضوا عن الدين (وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ) لا تقترب مما يُحبون، خذ من الأشياء الأقل عندهم، لكن في مجتمع الصحابة الكرام وبعد حين:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (92)

(سورة آل عمران)

هذه مرتبة ثانية، أمّا الآن هذا جديد في الالتزام، الآن يجب أن تُخرج عندك مما تُحب، لا، الآن خذ منه الزكاة من أي مالٍ يُريده، هذا الفقه العظيم الذي نحتاجه اليوم.

نحن اليوم بحاجة "امحها يا علي":

أيها الإخوة الكرام: عندما يُحيط بنا الأعداء، ونحن نتقاتل لأجل مسائل خلافية، فنحن بالتأكيد بحاجة إلى هذه الاستراتيجية، "امحها يا علي"، لأن فعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أعدائه دون أن يتنازل لهم، انتهوا، رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتنازل لأعدائه حاشاه، قال له: أنا محمدٌ رسول الله، لكن تجاوز عنها في الكتابة، فلئن فعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أعدائه الألداء، فما أحوجنا اليوم أن نفعلها مع رفاق درينا، أن نفعلها مع رفاق المنهج، أن نفعلها مع المسلمين الذين أمرنا الله تعالى أن ندعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة.

"امحها يا علي" تُحوّل المسار من الجدال إلى الانشغال بما يبنيني عليه عملٌ وأفعالٌ مهمة:

الأمر الثاني أيها الكرام: "امحها يا علي"، تُحوّل المسار من الجدال الذي يهدر الأوقات، كم أهدرنا من أوقاتنا الثمينة في الجدال؟! إلى الانشغال بما يبنيني عليه عملٌ وأفعالٌ مهمة، وخدوا هذه القاعدة: "كل خلاف لا يبنيني عليه عملٌ فلا تهدير وقتك به"، كل خلافٍ حتى في الحياة الدنيا، جلسةٌ صاخبة في آخر الليل، بعد الخلاف لن تصل إلى حل، ماذا تفعل عداء؟ ولا شيء، سواءً كان المُتسبب في هذه الحرب فلاناً أو فلاناً أنا ماذا أفعل؟ سواءً كان فلان من الساسة الذين لن أصل إليهم، ولن أنصح لهم، مُجِئاً أم مُبِطلاً، ماذا انبنى عليها من عملٍ؟ ماذا تفعل أنت بعد ذلك؟ فكل خلافٍ لا يبنيني عليه عملٌ في الشريعة، فلا تُهدر وقتك به، لو كتب علي رضي الله عنه، محمدٌ رسول الله، أو محمد بن عبد الله، فهل يتغير شيء في حقيقة الاتفاق؟ أبداً، البنود كلها واضحة، هل يبنيني على ذلك عملٌ؟ هل يتغير شيء في المضمون؟ إذا "امحها يا علي"، انتهى الأمر.

أيها الإخوة الكرام: بعد منتصف الليل بدأ جدالٌ حاد بين رجلين، في فهم حديث المُصطفى صلى الله عليه وسلم:

{ يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبُ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ؟ مَنْ

يَسْتَعْفِرُنِي فَأَعْفِرَ لَهُ؟ }

(أخرجه البخاري ومسلم)

احتدم الجدال، وارتفعت الأصوات، وتمسك كلُّ برأيه في معنى نزول الربِّ جلَّ جلاله إلى السماء الدنيا، كيف ينزل؟ مع أنّ الصحابة الكرام كلهم سمعوا الحديث وما سألوا، إلا نحن نحن نريد أن نكون أفهم من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم حاشاهم، حاشاهم أن يبلغ أجدنا شيئاً من علمهم أو فقههم، ارتفعت الأصوات، واحتدم الجدال، وتمسك كلُّ برأيه، ثم طلع الفجر عليهما، دون أن يقوم أحدٌ منهما بطلب حاجته من الله، فات الوقت، مُستغلاً ومستثمراً وقت النزول، أما كان يكفي الطرفين، أن يأخذا النص كما هو، كما تلقاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دون جدالٍ، ثم يقوم كلُّ منهما إلى محرابه ليسأل الله حاجته، وليستغفر الله من ذنبه؟!

إياكم والمراء فإنه ساعة جهل العالم:

أيها الإخوة الكرام: يقول صلى الله عليه وسلم:

{ مَا صَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هَدْيٍ كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أوتوا الجدالَ ثُمَّ تلا رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الآيةَ (مَا صَرَّبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ

{ [الزخرف: 58] }

(أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا صَرَّبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (58)

(سورة الزخرف)

(ما صَلَّ قَوْمٌ) حَصْرٌ وَقَصْرٌ.

يقول الأوزاعي رحمه الله: "إذا أراد الله بقوم شرّاً أَلَزَمَهُمُ الْخَدَلَ وَمَنَعَهُمُ الْعَمَلَ"، وقد قيل: "إِتَاكُمُ الْإِمْرَاءُ، فَإِنَّهُ سَاعَةٌ جَهْلُ الْعَالِمِ، وَبِهَا يَبْتَغِي الشَّيْطَانُ زَلَّتْهُ" الْإِمْرَاءُ جَهْلُ الْعَالِمِ، عِنْدَمَا تَجِدُ عَالِمًا يُمَارِي، لَا أَقُولُ يُحَاوِرُ فِي مَسْأَلَةٍ مَهْمَةٍ، يَنْبَغِي عَلَيْهَا عَمَلٌ نَأْخُذُ فِيهَا إِرَاءَ جَمِيعِ الْأَطْرَافِ، مِنْ أَجْلِ الْوَصُولِ إِلَى شَيْءٍ يُصْلِحُ الْأُمَّةَ، إِنَّمَا جَدَلٌ مَذْمُومٌ، إِمْرَاءُ، فَقَالَ: "إِتَاكُمُ وَالْإِمْرَاءُ، فَإِنَّهُ سَاعَةٌ جَهْلُ الْعَالِمِ"، إِذْ وَجَدْتَ شَخْصًا مَهْمًا كَانَ عِلْمُهُ يُمَارِي فَهَذِهِ سَاعَةٌ جَهْلُهُ، نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يَعِصِمَنَا مِنْهَا، قَالَ: "وَبِهَا يَبْتَغِي الشَّيْطَانُ زَلَّتْهُ" يَعْنِي كَيْفَ يَبْتَغِي الشَّيْطَانُ زَلَّةَ الْعَالِمِ، عِنْدَمَا يُغْرِبُهُ بِالْإِمْرَاءِ وَالْجِدَالِ الْمَذْمُومِ. يقول صلى الله عليه وسلم:

{ أَنَا زَعِيمٌ بَيْتٍ فِي رِضَى الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْإِمْرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحَقًّا }

(أخرجه أبو داود والطبراني)

(أنا زعيمٌ) أي كفيلاً.

الجدال بُغية الانتصار للنفس:

أُهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ: الْحَوَارِ الْهَادِي، الْمُتَّزِنُ، فِي مَكَانِهِ، فِي وَقْتِهِ، مِمَّا يَنْبَغِي عَلَيْهِ عَمَلٌ لَا خَرَجَ فِيهِ، أَمَا الْجِدَالُ بُغِيَّةُ الْإِنْتِصَارِ لِلنَّفْسِ بِلَيْسِ الْإِنْتِصَارِ لِدِينِ اللَّهِ، هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ انْتِصَارٌ لِلنَّفْسِ، فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ يَنْتَصِرُ لِنَفْسِهِ، لَكِنْ هُوَ يُلَبِّسُهُ أَنَا تُرِيدُ دِينَ اللَّهِ، حَتَّى لَا يَضِلَّ النَّاسَ، وَهُوَ يُضِلُّ النَّاسَ بِهَذَا الْمِرَاءِ، عِنْدَمَا يَكُونُ الْمِرَاءُ بِهَذَا الشَّكْلِ فَنَحْنُ بِحَاجَةٍ إِلَى "أَمْحُهَا يَا عَلِي"، الْإِسْتِرَاطِيَّةِ وَليست الكلمة بحد ذاتها، تَجَاوَزُ عَنِ هَذَا الْجَدَلِ، أَمْحُهَا، خُذْ الَّتِي بَعْدَهَا، مَاذَا نَفْعَلُ غَدًا؟ مَاذَا نَصْنَعُ لِأَمْتِنَا؟ يَقُولُ تَعَالَى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَأَيْبُهُمْ كَلْبُهُمْ وَبِقَوْلُونَ خَمْسَةَ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ □ وَبِقَوْلُونَ سَبْعَةَ وَتَامِيَهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ □ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً طَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا (22)

(سورة الكهف)

(فَلَا تُمَارِ) أَي لَا تُجَاوِلْ، لَا تُجْهِدْ نَفْسَكَ بِالْبَحْثِ عَنِ أَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ، وَلَا عَنِ أَعْدَادِهِمْ، وَلَا عَنِ الْمَدِينَةِ الَّتِي كَانُوا فِيهَا، وَلَا عَنِ الزَّمَانِ الَّذِي وَجَدُوا فِيهِ، مِنْ أَجْلِ أَنْ تَصِلَ إِلَى حَقِيقَةِ الْمَسْأَلَةِ وَلِئِنَّهَا وَمَضْمُونُهَا، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تَحْنُ نَفْسٌ عَلَيْكَ تَبَاهُمْ بِالْحَقِّ إِيْتَهُمْ فِتْنَةٌ أَمْنُوا بِرَبِّهِمْ وَرِذَّتْهُمْ هُدَى (13)

(سورة الكهف)

فَكُنْ فِتْنَةً مُؤْمِنًا بِرَبِّكَ لِيُزِيدَكَ اللَّهُ هُدًى، هَذِهِ هِيَ الْقِصَّةُ، لَيْسَتْ الْقِصَّةُ فِي أَعْدَادِهِمْ.

القرآن يُعلِّمنا أن نترك الجدال الذي لا طائل وراءه:

يُعلِّمنا القرآن، يُوَدِّبُنَا الْقُرْآنَ أَنْ نَتْرِكَ الْجِدَالَ الَّذِي لَا طَائِلَ وَرَاءَهُ، مَاذَا يَنْفَعُ إِنْ عَرَفْنَا أَسْمَاءَهُمْ؟ وَمَاذَا يَنْفَعُ إِذَا عَرَفْتَ عَدَدَهُمْ؟ إِنْ كَانُوا مِئَةً أَوْ كَانُوا ثَلَاثَةً، النَّتِيجَةُ وَاحِدَةٌ وَهُمْ فِتْنَةٌ أَمْنُوا بِرَبِّهِمْ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ مَا كَانَ، فَأَقْتَدِ بِأَحْسَنِ مَا عِنْدَهُمْ، وَأَقْتَدِ بِالْخَيْرِ الَّذِي وَجَدَ فِي صُدُورِهِمْ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَهْدِيكَ لِأَقْرَبِ مِنْ هَذَا رَشْدًا، كَمَا جَاءَ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ.

أُهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ: فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَلْفٌ وَأَرْبَعَمِئَةٌ وَائِثْنِينَ وَأَرْبَعِينَ لَفْظًا، الَّذِي، الَّتِي، الَّذِينَ، اللَّائِي، الْأَسْمُ الْمَوْصُولُ، الْأَسْمُ الْمَوْصُولُ تَكَرَّرَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى أَلْفًا وَأَرْبَعَمِئَةً وَائِثْنِينَ وَأَرْبَعِينَ مَرَّةً، بِمُعَدَّلٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي كُلِّ صَفْحَةٍ، وَالْأَسْمُ الْمَوْصُولُ لَا يُرْجَعُ إِلَى شَيْءٍ مَعْرُوفٍ، يُرْجَعُ إِلَى شَيْءٍ مُبْهِمٍ.

المُبْهِمَاتُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:

أَنَا أَقُولُ الْيَوْمَ بِلَالٍ، فَهَذَا يُرْجَعُ إِلَى شَخْصٍ مَعْرُوفٍ اسْمُهُ بِلَالٌ، لَكِنْ إِذَا قُلْتَ لَكَ: الَّذِي، مَنِ الَّذِي؟ لِذَلِكَ يُعْرَفُ أَهْلُ اللُّغَةِ بِأَنَّهُ اسْمٌ مُبْهِمٌ يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ بَعْدَهُ لِتَوْضِيحِهِ نَوْعًا مَا، الَّذِي يَكْتُبُ، الَّذِي يَقْرَأُ، الَّذِي يَدْرُسُ، الَّذِي يَعْلَمُ، الَّذِي يُحْطَبُ، فَالْأَسْمُ الْمَوْصُولُ مُبْهِمٌ، لِذَلِكَ أَلْفُ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ مُجَلَّدَاتٍ سَمَّوْهَا الْمُبْهِمَاتُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، أَي الْفَاطِطُ الْمُبْهِمَةِ، إِذَا لَمَّاذَا هَذَا الْإِبْهَامُ؟! لَمَّاذَا لَا يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى بَدَلًا مِنْ أَنْ يَقُولَ: إِنْ الَّذِي يَقُولُ إِنَّ فَلَانًا؟ لِأَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ يَرِيدُ مِنْكَ أَنْ تَبْتَغِيَ عَنِ الْأَسْمَاءِ وَعَنِ الْأَشْخَاصِ، وَأَنْ تَتَّجِهَ إِلَى الْمَضْمُونِ فَوْرًا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ
قَالَ اللَّهُ يَأْتِي بِاللَّيْلِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (258)

(سورة البقرة)

من الذي حاجَّ إبراهيم في ربه؟ لولا أن قرأنا في بعض الكتب أنه النمرود لما علمنا عنه شيئاً، يكفي أن آتاه الله الملك، هذه الصفة التي تُهمنا (ألم تر إلى الذي حاجَّ إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك) إذاً هو ملكٌ مغرور فقط، وانتهى.

كل ملكٍ مغرور يأتي بعده هو نمرودٌ مثله وانتهى، ما اسمه؟ لا حاجة لاسمه، ثم بعد ذلك بعد الآية التي بعدها في البقرة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوسِهَا قَالَ أَبَى تُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ تَعْدَى مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ قَانِطِرٌ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَى جِمَازِكَ وَتَجْعَلْكَ آيَةً لِلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِئُهَا ثُمَّ تَكْسُوهُمَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (259)

(سورة البقرة)

من الذي مرَّ على قربةٍ؟ دعك منه لعلك تفعل فعله، فنمَّر على قربةٍ وتقول: من يُحييها، فتأتي الآية لك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَخَاوَرُكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (1)

(سورة المجادلة)

من التي تُجادلك؟ أيُّ امرأةٍ عفيفٍ طاهرة، تُجادل اليوم تريد زوجها تعينها الآية، ما علمنا أنها حولة إلا من كُتِبَ السيرة، أمّا في القرآن: (قد سمع الله قولَ التي تُجادلك في زوجها) هل تعلمون أنّ فريشا التي عادت النبي صلى الله عليه وسلم طوال عشرات الأعوام، أنها لم تُذكر في القرآن إلا مرةً واحدةً ذكراً إيجابياً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لِيَلَافِ قُرَيْشٌ (1) إِيْلَافَهُمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (2)

(سورة قريش)

ينبغي أن نبتعد عن الجدل وأن نتجه إلى العمل وإلى ما ينفع الأمة؛
كيف لو ذكر الله تعالى في القرآن في كل سورةٍ بدلاً من المشركين قريش؟ بدلاً من أن يقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ فَلَا تَطْلُمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (36)

قال: قاتلوا قُريشاً كافةً، ثم أسلّمت قريش بعد فتح مكّة، كيف نقرأ القرآن؟ نقاتل قُريشاً وقد أسلّمت!
لما تحدّث الله تعالى عن غزوة أُحد في سورة آل عمران، من الذي كان سبباً في هزيمة المسلمين في أُحد؟ خالد بن الوليد، لم يذكره الله تعالى نهائياً، أمّها، لم يذكره أبداً، بل بدأت القصة بذكر السّتين:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَدَحَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ (137)

(سورة آل عمران)

انتهينا، لو قال: إنّ خالداً كان سبباً في الهزيمة، لوقف خالدٌ بعد أن أسلم في مكّة يستمع الإمام وهو يشتمه، ابتعد عن الأشخاص، ابتعد عن الشخصية، ابتعد عن الجدال في الأشياء التي لا تُقدّم ولا تؤخّر، ولنتجه جميعاً إلى اللب وإلى العمل وإلى ما ينفع الأمة، وما يبني عليه من أقوال فعل أو عمل، وما زال في "أمّها يا علي" كنوزٌ وكنوز، لعلنا نُفرد لها حُطبةً قادمة.

أيّها الإخوة المكرام: حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن تُوزن عليكم، واعلموا أنّ ملك الموت قد تخطّأنا إلى غيرنا وسيتخطّى غيرنا إلينا فلتتخذ حذرنا، الكيّس من دان نفسه وعمل لقا بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمتّى على الله الأمانى، واستغفروا الله.

الحمد لله ربّ العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وليّ الصالحين، اللهم صلّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميدٌ مجيد.

الدعاء:

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، إنك يا مولانا سميعٌ قريبٌ مجيبٌ للدعوات.

اللهم برحمتك عَمَّنَا، واكفنا اللهم شرّاً ما أهْمنا وأَعَمَّنَا، وعلى الإيمان الكامل والكتاب والسنة توقُّفاً، نلقاك وأنت راضٍ عَنَّا.

اللهم فارح الهم كاشف الغم، مُجيب دُعاء المُضطربين، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، أنت ترحمنا، ارحمنا برحمةٍ من عندك تُعِيننا بها عَمَّن سواك.

اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم، ولا تُعْذِبا فإنك علينا قادر، والطُف بنا وجميع المسلمين فيما جرت به المقادير، ودبّر لنا فإننا لا نُحْسِن التديب.

اللهم كُن لإخواننا المُستضعفين في مشارق الأرض ومغاربها، عوناً ومُعِيناً، وناصرراً وحافظاً ومؤيداً وأميناً.

اللهم أطعم جائعهم، واكس عريانهم، وارحم مصابهم، وأو غريبهم، واغفر لنا تقصيرنا بحَقِّهم فإنك أعلم بحالنا يا أرحم الراحمين، وألهمنا عملاً صالحاً في خدمة عبادك يا كريم.

اللهم اجعل هذا البلد آمناً سخاءً رخاءً، وأبعد عنه الماكرين والحاسدين والمُتأمرين يا أرحم الراحمين.

اللهم عليك بالصهابة المُعتدين فإنهم لا يُعْزرونك، اللهم عليك بهم، اللهم إنّنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم.

اللهم أعل كلمة الحقّ والدين وانصر الإسلام وأعز المسلمين، وخُذ بيد ولاتهم لما تُحب وترضى، إنك وليّ ذلك والقادر عليه، والحمد لله ربّ العالمين.